

تاريخ الإرسال (2019-05-13)، تاريخ قبول النشر (2019-06-23)

د. صبحي رشيد اليازجي

اسم الباحث الأول:

د. زهدي محمد ابو نعمة

اسم الباحث الثاني:

قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية
أصول الدين - الجامعة الإسلامية بغزة -
فلسطين

¹ اسم الجامعة والبلد:

² اسم الجامعة والبلد:

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

Zohdi1961@hotmail.com

المُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحَقَّهُمْ فِي الْعُودَةِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الملخص:

تحدث البحث عن سنة الله في الابتلاء والإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم، ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي: التمهيد: تكلم فيه الباحثان عن أحقية الفلسطينيين في أرض فلسطين. والمبحث الأول: الإخراج من الديار في ضوء القرآن. والمبحث الثاني: الآثار المترتبة على الهجرة والإخراج من الديار كما يعرضها القرآن. والمبحث الثالث: واجبات الدول المضيفة تجاه المخرجين وواجب المهاجرين أنفسهم تجاه أنفسهم. وختم البحث بخاتمة تناولت أهم النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: المخرجون - ديارهم - حقهم - العودة - القرآن.

The Expelling from their homes and their right to return in the light of the Koran

Abstract:

This research is about the removal of the Palestinian people from their land by the enemies of Islam, the Jews who attacked them, and drove them out of their homes and settled in it after they took over their land and property and desecrated their sanctities.

This research was entitled (The expelling from their homes and their right to return in the light of the Holy Quran) The Tow researcher speaks about the way of Allah in the ablutions and the expelling from the homes in the light of the Holy Quran.

The research consists of an introduction, a preface, three topic and a conclusion, as follows:

Preface:

The two topic: Researchers spoke about the Palestinians' right to the land of Palestine.

The third topic: The duties of the host countries towards the directors and the duty of the migrants themselves towards themselves.

The conclusion, has many important results and recommendations.

Keywords: The Expelling - homes -their right -return - the Koran.

المقدمة:

الحمد لله العزيز الحميد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القائل في كتابه العزيز ﴿.. فَأَلْدِينِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران:195)، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فقد تعرض أهل فلسطين لابتلاء عظيم من قبل أعداء الإسلام اليهود الذين اعتدوا على فلسطين فسلبوا أرضها ورحلوا أهلها وقتلوا أبناءها وانتهكوا حرمتها ودينسوا مقدساتها وأخرجوا أهلها، فتشتتوا في المنافي والشتات، كان ذلك في الخامس عشر من مايو سنة 1948 وأطلق على ذلك اليوم يوم (النكبة)، فكلما أهّل على شعب فلسطين شهر مايو من كل عام تتطلق الندوات والمحاضرات والأيام الدراسية وغيرها من أنشطة إحياء نكرى النكبة، وتهجير شعبنا الفلسطيني من فلسطين عام 1948م تأكيداً على قداسة حق العودة، وأنه حق شخصي لا تملك الحكومات العربية، ولا سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية، ولا أي تنظيم أو حزب مهما كان التنازل عنه أو التقريب فيه، لا بسياسة التعويض ولا التوطين والتدوين ولا غير ذلك.

أولاً: أهمية الدراسة:

- 1) كون الدراسة تركز على حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه الذي أخرج منه .
- 2) بيان أن فلسطين أخذت بالقوة دون وجه حق وهي لا تعود إلا بالقوة فلا بد من إعداد القوة.
- 3) بيان أن الإخراج من الديار ابتلاء عظيم تعرض له الشعب الفلسطيني وحق على سائر العرب والمسلمين نصرتهم لعودتهم إلى ديارهم.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

عقدت كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة يوماً دراسياً في ذكرى السبعين لنكبة شعبنا الفلسطيني بعنوان حق العودة، فقدمنا ورقة عمل تبين جريمة إخراج الفلسطينيين من أرضهم وحققهم في العودة إلى ديارهم ثم حدثنا هذه الورقة لتكون بحثاً علمياً بعنوان {المخرجون من ديارهم وحققهم في العودة على ضوء القرآن الكريم .

ثالثاً: أهداف الدراسة:

- 1) ترسيخ فكرة حق العودة لأبناء الشعب الفلسطيني الذين أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً، وهو وعد رباني بنصر المظلومين، لقوله تعالى بحق الرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ ..﴾ (القصص:85)
- 2) تربية الجيل على ضرورة الجهاد وإعداد العدة والقوة لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة
- 3) ضرورة تربية الجيل المسلم من الفلسطينيين على وحب الوطن، وربط أبناء الجيل بالتراث الفلسطيني حتى لا يذوبوا في الشعوب الأخرى التي هاجروا إليها.
- 4) تربية أبناء الشعب الفلسطيني على عدم التنازل عن حق العودة للديار الذي يعد واجباً شرعياً ووطنياً .
- 5) ترسيخ مبدأ عدم موالة الكفار والمنافقين ومن لف لفهم قال تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ..﴾ (البقرة: 120)

رابعاً: الدراسات السابقة:

قُدمت العديد من الدراسات في هذا الموضوع، ولكن كانت على شكل مقالات ودراسات محدودة، ولكن هذه الدراسة كانت في ضوء القرآن الكريم، وبينت أن الابتلاء والإخراج للأنبياء كان للعديد من الأنبياء والصالحين على مدار التاريخ، لما روي أن ورقة بن نوفل قال للنبي ﷺ في بداية البعثة حينما قال له رسول الله ﷺ : { « أَوْمُحِرَجِي هُمْ؟ » فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَئِذٍ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَرَّرًا } (1) .

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ، رقم { 6982 } { 9 / 29 } .

وسيتناول الباحثان في هذا البحث حق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم وهو بعنوان : المخرجون من ديارهم وحقهم في العودة في

ضوء القرآن الكريم

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: تكلم فيه الباحثان عن أحقية الفلسطينيين في أرض فلسطين.

المبحث الأول: الإخراج من الديار في ضوء القرآن.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الهجرة والإخراج من الديار كما يعرضها القرآن

المبحث الثالث: واجبات الدول المضيفة تجاه المُخرجين وواجب المهاجرين أنفسهم تجاه أنفسهم.

التمهيد:

أحقية الفلسطينيين في أرضهم

إنَّ الحقَّ في فلسطين والعودة إليها بالنسبة للمسلمين لا ينبغي أن يرتبط بمسألة أسبقية الوجود التاريخي على هذه الأرض، ولا أن يتصل بمنطلقات قومية أو وطنية، فهو حق يؤول لعباد الله الاتقياء، بغض النظر عن الجنسية والأصل لقوله تعالى: ﴿.. إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف:128)، أولئك الذين يبذلون على استعداد لبذل أرواحهم في سبيل نصرته الله ﷻ وإعلاء رسالته: قال تعالى ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج : 40-41). وهم الذين يخلصون الإيمان برسالة التوحيد التي دعا إليها الأنبياء كافة في تلك الأرض المقدسة، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:21).

وإذا كان اليهود يدعون بأن أرض فلسطين هي أرض الميعاد، وأنها مملكة داود وسليمان -عليهما السلام- ما يعطيهم الحق فيها بوصفهما -عليهما السلام- من ملوك اليهود وأنبيائهم، فقد وضَّح القرآن الكريم في أكثر من موطن أن مملكة داود وسليمان -عليهما السلام- هي مملكة النبوة، التي كانت تقوم على العبودية لله تعالى وتحقيق العدل وكمال العبادة والطاعة والتسبيح والذكر⁽²⁾، وكل تلك العناصر الإيمانية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بيهود اليوم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِذِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، فالذين كفروا من اليهود والنصارى، وأشركوا بالله ﷻ، وعصوه، ونقضوا العهد مع الله ﷻ، وقتلوا الأنبياء، وحرفوا كلام الله؛ فقدوا حقهم في الأرض المقدسة، واستحقوا لعنة الله ﷻ ولعنة أنبيائه كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: 30)، وإذا كان اليهود ومن لفَّ لفَّهم يزعمون أن لهم حقاً دينياً في أرض فلسطين استناداً إلى تحدرهم من إبراهيم ﷺ، فقد أسقط القرآن الكريم دعواهم وقطع صلتهم المزعومة بإبراهيم ﷺ بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 67). وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحج: 78)⁽³⁾.

المبحث الأول

الإخراج من الديار ونظائره في ضوء القرآن

(2) انظر: سعيد حوى، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة (ص 41).

(3) انظر: حكمت أحمد الغربي، حق العودة ميراث لأرض التوحيد والحق، (ص 4).

أصعب ما يكون على الإنسان أن يضطر لترك دياره وأن يُخرج منها قسراً، لذلك كثيراً ما أشار القرآن الكريم إلى هذه القضية (الإخراج من الديار)، وفي مقابل ذلك رتب الباري ﷻ أعظم الأجر لمن أخرج من دياره وأوذي في سبيل الله قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران: 195). وتتناول هذا المبحث في خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: مفهوم الإخراج والعودة لغة واصطلاحاً

أولاً: الإخراج لغة واصطلاحاً

(1) **الإخراج لغة:** " والخروج نقيض الدخول، يقال: خرج خروجاً ومخرجاً فهو خارج وخروج وخراج، فقد أخرجته وخرج به، قال الجوهري: قد يكون المخرج موضع الخروج يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مخرجه، وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجته"⁽⁴⁾.

وقد يستعمل في معنى الانتقال " يقال: خرجت من البصرة إلى الكوفة، وهو عبارة عن الانفصال من مكانه الذي هو فيه إلى مكان قصده، وذلك المكان تارة يكون قريباً، وتارة يكون بعيداً، فعلى هذا السفر أحد نوعي الخروج وصفاً ولغة، ويقال: (سافر فلان) من غير ذكر الخروج عين السفر، ويقال خرج الرجل من داره"⁽⁵⁾.

(2) الإخراج اصطلاحاً:

الانتقال من مكان إلى مكان، أو من دار إلى دار بالنفس بأسباب خارجة عنه قهراً أو قسراً⁽⁶⁾. يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9) .

يُلاحظ أن لفظ (الإخراج) له نظائر في كتاب الله، جاءت في سياق القرآن، تؤدي نفس المعنى والغرض: وهو الهجرة، والبعد، والطرْد، والتشريد، والنفي وهي الألفاظ على النحو الآتي:

(أ) لقد وردت كلمة (خرج) ومشتقاتها التي لها علاقة بموضوع البحث في (41) موضعاً⁽⁷⁾، منها (18) موضعاً في مكة، و(23) موضعاً مدنياً . مثل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (البقرة:84) . وقال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ (الشعراء: 167).

(ب) ومن نظائرها كلمة (هاجر) : وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في السياق القرآني في (23) موضعاً⁽⁸⁾، (3) مواضع مكية، و(20) موضعاً مدنياً . مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء 100). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ (الممتحنة:10) .

(ج) الإبعاد القسري للأفراد والجماعات من أوطانهم، أو من موطن سكنه إلى أي مكان آخر قهراً.

(4) ابن منظور، لسان العرب (1125/2).

(5) أبو البقاء، السمين الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - ، (ص:432).

(6) أ. د. عبد السلام اللوح، أ. عماد حمتو، آثار الإخراج من الديار بين الإيجاب والسلب، (ص:137).

(7) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، { خرج } (ص:227).

(8) المرجع السابق، مادة هجر (ص:730).

وقد وردت كلمة (بعد) ومشتقاتها في السياق القرآني في (10) مواضع⁽⁹⁾ كلها مكية النزول بلا استثناء، مثل قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَقْدَامًا وَمَنْزِلًا كُلِّ مُمْرِقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (19) (سبأ: 19) . وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: 101) .

ثانياً: العودَة لغة واصطلاحاً

(1) العودَة لغة: عاد يعود: عاداً وعوداً ومعاداً، و(عودٌ له أو إليه أو عليه): رجع إليه. والعود الرجوع كالعودَة، واستعاده سأله أن يفعلها ثانية، وأعادته إلى مكانه: رجع، وعوداً وعودَة: رجع وارتد⁽¹⁰⁾، وقال ابن منظور: " قَالَ سَبِيحَةُ: وَتَقُولُ رَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدْنِهِ؛ تُرِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَقْطَعْ ذَهَابَهُ حَتَّىٰ وَصَلَهُ بِرُجُوعِهِ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنَّهُ رَجَعَ فِي حَافِرَتِهِ أَي نَقَضَ مَجِيئَهُ بِرُجُوعِهِ" (11) .

(2) العودَة اصطلاحاً: لم أجد لهذه اللفظة معنى في الاصطلاح، ولكن استتجت هذا التعريف من خلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: 85) وهو: وَعُدُّ اللهُ لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ظُلْمًا سِوَاهُ هُوَ أَوْ أَوْلَادِهِ أَوْ أَحْفَادِهِ أَوْ أَيًّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، مَهْمَا كَانَتْ ظُرُوفُهُمْ، وَمَكَانَ وِلَادَتِهِمْ، بِالْعُودَةِ إِلَىٰ دِيَارِهِمُ الَّتِي أَخْرَجُوا مِنْهَا قَهْرًا مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ .

ثالثاً: الإخراج في الآيات القرآنية:

(1) قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: 40) .

(2) وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَا مِنْهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (محمد: 13) .

(3) وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يُتْلَوْكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال: 30) .

(4) وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيْسَتَعْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 76) .

(5) وقال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المتحنة: 8) .

(6) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المتحنة: 9) .

(7) وقال تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة: 191) .

(8) وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران: 195) .

(9) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: 100) .

رابعاً: إخراج وتهجير الشعب الفلسطيني

(9) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة بعد (ص: 125) .

(10) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص 387) .

(11) ابن منظور، لسان العرب (3/ 315) .

ولقد تعرض الشعب الفلسطيني إلى الإخراج والتهجير والترحيل والإبعاد القصري عن وطنه، والتشريد من الديار، وقد أطلق العالم عليهم اسم { اللاجئين الفلسطينيين } والواحد منهم اسم (لاجئ) قال تعالى: ﴿ أَيْنَ لِلَّذِينَ يِقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... ﴾ (الحج:40.39) .

فهؤلاء لهم الحق في العودة إلى ديارهم، بعد أن مورس عليهم الإرهاب بكل وسائله وأنواعه حتى هذه الأيام ... وشعبنا الفلسطيني لا يزال يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله يرجون نصر الله لهم، قال تعالى: ﴿ .. وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج:41.40)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص:85) فهذه الآيات جميعها فيها وعد الله لكل من خرج من بيته ظملاً، سواء هو أو أولاده أو أحفاده حيث كانت ولادتهم مهما طال الزمان. فشوقنا إلى الديار نابع من حب نبينا ﷺ واشتياقه إلى وطنه حيث قال: { وَاللَّهِ إِنَّكَ، لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهُ لَوْلَا آتَيْتِي أُخْرِجْتُ مِنْكَ، مَا خَرَجْتُ } (12) .

المطلب الثاني: المخرجون من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم

سنعرض في هذا المبحث قضية الإخراج من الديار في حق الأنبياء وأتباعهم، بدءاً بآدم ﷺ ، ومروراً بنوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف ولوط وشعيب وموسى ويوشع عليهم السلام وانتفاءً بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، الذين أخرجوا مكرهين نتيجة للصراع بين الحق والباطل، فأثروا نصرة الدين على الأهل والمال والديار، فكتب الله لهم التمكين والفوز بالجنة يوم الدين، فكانوا بذلك أسوة للعالمين. إنها سنة الله الثابتة في الابتلاء والتمحيص ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

أولاً: إخراج آدم عليه الصلاة والسلام: الذي أخرجه الشيطان من الجنة بعد أن أسكنه الله إياها وسمح له أن يقيم فيها هو وزوجه وحذره من الاستجابة لغواية الشيطان حتى لا يخرجها منها لكنه نسي وعصى فأخرج آدم وزوجه من سكناهم في الجنة إلى دار الشقاء والضنك. قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة: 36) (13) .

ثانياً: إخراج نوح عليه الصلاة والسلام: اضطره قومه للخروج بعد أن انقطع منهم الخير وأرادوا به الكيد فأمره ربه بصنع سفينة وحمل المؤمنين بها للخروج من أرض الظالمين. قال تعالى ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَعْرَفْنَا بِهِ عَذَابَ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:121) (14)

ثالثاً: إخراج إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بدأ دعوته في العراق وعندما حطم أصنامهم حكموا بإحراقه بالنار فأناجاه الله منها، فأخرجه قومه من بين أظهرهم إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (الصافات: 97-99) (15) .

رابعاً: إخراج شعيب عليه الصلاة والسلام : حيث أخرجه قومه من وطنه قال تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الاعراف: 88) (16) .

(12) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب فضل مكة (2/ 1037) وصححه الألباني.

(13) (انظر: السيوطي، الدر المنثور (1/ 130).

(14) (انظر: المرجع السابق (6/ 310).

(15) (انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7/ 27).

(16) (انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 295)

خامساً: إخراج موسى عليه الصلاة والسلام : ولقد خرج موسى في المرة الأولى هاربا من فرعون إلى مدين قال تعالى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الفصص: 21)، ثم خرج بقومه المرة الثانية إلى الأرض المقدسة وطارده فرعون وجنده الذي أهلكه الله ومن معه من جنوده الظالمين قال تعالى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: 91)⁽¹⁷⁾.

وقد أخرج كثير من الأنبياء غيرهم ، منهم: هجرة إسماعيل ﷺ حيث أخرج وهو صغير مع أمه إلى مكة، وهاجر يعقوب إلى أرض حران، وهاجر يوسف ﷺ إلى مصر، وهاجر لوط ﷺ إلى الشام مع إبراهيم عليهم السلام وغيرهم عليهم جميعا الصلاة والسلام.

وتذكر كتب السير أن النبي محمدا ﷺ حين جاءه الوحي عرضته السيدة خديجة على ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية⁽¹⁸⁾، وأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال ورقة: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَوْمُخِرْجِي هُمْ؟» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"⁽¹⁹⁾ .

المطلب الثالث: قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كما يعرضها القرآن

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: 243).

"وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك هي أنهم قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله ﴿ .. وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. ﴾ [البقرة: 190] الآية " (20) ، وأورد ابن كثير "عن ابن عباس ؓ قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا: تأتي أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم: موتوا فماتوا فمرو عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ... ﴾ الآية (البقرة: 243) " (21) .

ومن هنا فكانت الآية تقول لهم: لا تتصوروا أن التهرب من المسؤولية والتوسل بالأعداء الواهية يجعلكم في مأمن من الموت، فأنتم أعجز من أن تقفوا أمام قدرة الله تعالى، فإنه تعالى قادر على بيتليكم فيختطف أرواحكم فيذركم كعصف مأكول. فعلى كل أمة أخرجت من ديارها أن تسعى جاهدة إلى العودة إلى الديار مهما كلفها الثمن، فالتكليف التي تدفعها الأمة في جهادها أقل بكثير مما تدفعه من الذل والعار والانكسار أم الطواغيت .

المطلب الرابع: جريمة الإخراج في حق النبي ﷺ

وأجل المهاجرين وسيدهم هو نبينا ﷺ الذي أخرجه قومه من موطنه ومسقط رأسه مكة المكرمة فقال وهو ينظر إلى جبال مكة مخاطبا لها: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله عز وجل، ولولا أنني أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ" (22) .

(17) انظر: الطبري، جامع البيان (15/ 194).

(18) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (2/ 115).

(19) البخاري، صحيح البخاري، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ (9/ 29).

(20) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 327).

(21) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ت سلامة (1/ 661).

(22) أحمد، مسند أحمد (31/ 10) وقال المحقق : اسناده صحيح.

كان إخراج النبي ﷺ وهجرته مرحلة فاصلة في تاريخ الدعوة والرسالة، ولقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن المراحل التي مر بها النبي ﷺ في أمر الإخراج والهجرة، ونكتفي بذكر الآيات فكانت كما يأتي:

أولاً: الاستنزاز والتهديد

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء: 77-76).

ثانياً: التخطيط والمكر

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَأْكُرِينَ ﴾ (الأنفال: 30).

ثالثاً: تهينة النبي للأمر العظيم

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (الإسراء: 80).

رابعاً: النصر ساعة الإخراج

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا... ﴾ (التوبة: 40).

خامساً: تثبيت النبي ﷺ وطمأنة قلبه

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (محمد: 13).

سادساً: بشارة النبي ﷺ بالعودة فاتحاً لمكة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص: 85).

المطلب الخامس: الهجرة والإخراج في حياة الصحابة رضي الله عنهم

هجرة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لها دلالات هامة ينبغي التوقف عندها، فبال وصهيب وعمار وابن مسعود

وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وصف الله تعالى في هجرتهم بعدة صفات منها :

أولاً: وصف الحالة التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ قبل الهجرة من الفتنة والظلم والمطالبة بالصبر على كل أنواع الإيذاء التي يتعرضون لها كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجُرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل: 41).

ثانياً: وضع القرآن أن سبب إخراج المشركين للمؤمنين لم يكن الظلم فقط بل كراهية رؤية التوحيد على الأرض قال تعالى: ﴿ أذن لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... ﴾ (الحج: 40-39).

ثالثاً: صور القرآن حالة المهاجرين أثناء هجرتهم من الناحية الإيمانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفصلت آيات القرآن هذه الجوانب كاملة.

ثانياً: دور المرأة في الهجرة

1. بينت الآيات القرآنية أن المرأة المسلمة المهاجرة شاركت الرجل تماماً في أجر الهجرة فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نَوَابِإً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّوَابِ ﴾ (آل عمران: 195).

2. استتثيت النساء من شرط الإرجاع إلى الكفار بعد صلح الحديبية قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ (المتحنة: 10) .

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على الهجرة والإخراج من الديار كما يعرضها القرآن

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: التدافع بين الحق والباطل من الآثار الإيجابية للمخرجين من ديارهم

أولاً: سنة التدافع بين الحق والباطل لحفظ الإيمان والمقدسات الدينية

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: 40) .

من أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم، إنما هي العقيدة وحدها، لا الصراع على عَرْضٍ من أعراض هذه الدنيا التي تشير الأطماع؛ وتتعارض فيها المصالح. ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة حاجة العقيدة إلى الدفع عنها قال تعالى ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج: 40)، والصوامع أماكن العبادة المنعزلة للربان، والبيع للنصارى عامة وهي أوسع من الصوامع، والصلوات أماكن العبادة لليهود، والمساجد أماكن العبادة للمسلمين (23) .

ثانياً: وعد الله بالنصر للمُخْرَجِينَ الصابرين المحتسبين

يقول تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هَمَّ فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {التوبة: 40} أي إن لم تنصروا رسول الله، أو تركتم نصره ومؤازرته، فالله منكفل به، إذ قد نصره في موضع القلة والانفراد وكثرة العدو، فنصره إياه اليوم يوم الهجرة أخرى منه حينئذ، وذلك حين أخرجه المشركون الكافرون من مكة إلى المدينة فإله ناصره ومعينه على عدوه ومعنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره، حيث نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد (24) فجعل الله سبحانه وتعالى الإخراج سبباً من أسباب النصر، فاطمأنوا أيها الفلسطينيون فإن الله ناصركم ومؤيدكم، وإن تخلى عنكم الجميع، فإن الله معكم .

ثالثاً: الوعد بالهلاك للمُخْرَجِينَ الظالمين

لقد وعد الله كل من أُخْرِجَ من أرضه وسلبت حقوقه وطُرد وشُرد بغير الحق أنه سينتقم

لهم، ويأخذ لهم حقهم ﴿... وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47) وسيهلك كل ظالم جبار، فدوماً كفة ميزان السماء ترجح، ولا حق عند الله يُسلب ويُهْمش قال تعالى ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (محمد 21) (25) .

رابعاً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

(23) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (17 / 225).

(24) انظر: المرجع السابق (1 / 863) وانظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (1 - 10).

(25) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (13 / 237).

قال تعالى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ (الحشر: 8-9) .

فجعل الله الإخراج والطرد والإبعاد عن الديار سببا من أسباب حدوث أعظم صور للمؤاخاة والمؤازرة في التاريخ الإنساني تجلت في حادثة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار يقول سيد قطب في حديث شجي عن هذه الحادثة العظيمة: " وهذه كذلك صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار. هذه المجموعة التي تفرقت بصفتها، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاما طائفة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال ملحق ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين. بهذا الحب الكريم. وبهذا البذل السخي. وبهذه المشاركة الرضية. وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء. حتى ليروي أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة. لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين! ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ ..مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئا من هذا " (26) .

المطلب الثاني: الآثار السلبية للمُخْرَجِينَ من ديارهم

أولا: ضياع وبخس الحقوق والتفرقة بين أهل الأرض المستضيفة والمُخْرَجِينَ من ديارهم وصف الله سبحانه وتعالى أن من أخرج من داره وأبعد عنها قهراً وظلماً بأنه فقير قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر: 8) .

وهذا لأن المهاجر يخرج مضطهداً مطروداً قد ترك كل ما عنده من مال وسكن وأراضي وكل شيء فيصبح فقيراً، وربما بعد أن يخرج من أرضه ووطنه يصبح غنياً، ولكن هذا الوصف القرآني لحظة الخروج، وذكر الله ﷻ هذا في قصة موسى ﷺ حينما خرج من أرضه هرباً من فرعون قال تعالى ﴿ .. فَسَقَىٰ لَهُمًا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص 17) فتوسل موسى ﷺ لربه وذكر له فقره وشدة حاجته له .

أخرج السيوطي بسنده عن قتادة ﷺ عند بيانه لقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا .. ﴾ الآية قال: "هُؤْلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ تَرَكَوا الديارَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَهْلِينَ وَالْعَشَائِرَ وَخَرَجُوا حَبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَاخْتَارُوا الْإِسْلَامَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ حَتَّىٰ لَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَعْصِبُ الْحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِهِ لِيَقِيمَ بِهِ صِلْبَهُ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَّخِذَ الْحُفْرَ فِي الشِّتَاءِ مَا لَهُ دِثَارٌ (27) غَيْرَهَا" (28) .

ولو نظرنا إلى أهلنا المهجرين في المخيمات الفلسطينية في لبنان وغيرها لوجدنا ما يدمي القلب ويدمع العين فالتفرقة بين سكان الوطن الأصليين والفلسطينيين عجب، فيحرم الكثير من الفلسطينيين من التعليم والعمل ولا سبب سوى أنهم ليسوا من أهل الديار - وربما هناك الكثير ممن يعيشون في دول أخرى ينعم بعيش هنيء سعيد لكن نحن نتحدث عن ظلم بدون وجه حق وحرمان أبسط حقوقه .

ثانياً: الشوق للأرض والأهل والأحباب

من فطرة الإنسان التي خلقها الله فيه أنه يحن للأماكن والتفاصيل والذكريات التي عاش فيها وبها وللبشر الذين عاش وأنسجم معهم. فالمسافر الذي يسافر وهو يعلم أنه سيعود لأرضه ووطنه يشاق ويحن فكيف بمن أُخرج وأبعد بدون وجه حق كالفلسطيني مثلاً ولا يعلم متى العودة ويرى أرضه مسلوحة لغيره يرتع فيها ويمرح ويسكن في داره ويرى البيت الذي تربى فيه سلبه

(26) سيد قطب، في ظلال القرآن (9/ 345).

(27) الديثار: كل ما كان من الثياب فوق الشعار. الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 655)

(28) السيوطي، الدر المنثور (8/ 105).

منه عدو صهيوني تعسفاً وظلماً ويقف هو حائراً متحسراً.... حتى رسولنا محمد ﷺ قال لمكة فيما أخرجه الترمذي عن ابن عباسٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: "مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ" (29) .
ولما رأى النبي شدة حب الصحابة لوطنه مكة قال ﷺ "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا" (30)

ثالثاً: الذوبان وفقد الهوية

حينما يُخْرَجُ قوم من ديارهم بغير حق كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (الحج 40) فإنهم يتأثرون بالمحيط الذي سيعيشون فيه والبيئة التي سيقومون بها وربما ينسون بعض من تراثهم وخاصة إذا سكنوا في بيئة يصعب أن تقام فيها المهرجانات والفعاليات لأجل إحياء الذكريات، وبُعد الأهل وقلة الناس من حولهم الذين ينتمون لنفس بيئتهم فبالتالي ستتدثر الهوية وتتقي مع مرور الزمن إن لم تُحيا وتُقام.

المبحث الثالث

واجبات الدول المضيفة تجاه المهاجرين وواجب المهاجرين أنفسهم تجاه أنفسهم

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: واجبات الدول المضيفة (العربية والإسلامية) تجاه المهاجرين

حين يُطْرَد قوم من أرضهم بغير وجه حق وتؤخذ أموالهم وتسلب أراضيهم وينهبون وهم أحياء، ولا يعلمون لماذا هم يخرجون لا لغة تتحدث إلا لغة القوة والإبعاد والقتل والمجازر والمذابح ولا بقاء إلا للأقوى. وحينما نتذكر أقواماً أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ نتذكر أهلنا في فلسطين ونتذكر مشهد طردهم وإبعادهم عام النكبة 1948م، بعد مؤامرة ضخمة لشعب أعزل، نتخيل مشهد طردهم، الكل يفر بما تبقى له من المال وما استطاع أن يحمل من أوراق تثبت هويته، وتم إبعادهم إلى الدول المجاورة وكان الاتفاق على أن العودة بعد أسبوعين، ولكن الآن يمر أكثر من سبعين عاماً ولم يعد أحد، وتتمثل واجب الدول المضيفة بعدة أمور منها :

أولاً: التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان

قال تعالى: ﴿ .. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: 2)

هذه الآية تخبرنا عن فن من فنون التعامل المجرد من كل عصبية، تأمرنا بالتعاون بالبر والتقوى مع المخرجين ومعاملة الجميع كإنسان له حقوق ويجب علينا أن نقدم له حقوقه المتوفرة له كاملة ولا نبخس حقه ونظلمه ونفرق بينه وبين غيره (31) .

ثانياً: التعامل مع المهاجرين بالعدل والإحسان

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: 8).

في هذه الآية يوصينا الله تعالى بالعدل والإحسان وأن نكون خلفاء الله في أرضه شهداء لهذا الدين، فمسؤوليتنا القيام بما أمر الله به، وما يتطلبه هذا الدين العظيم كبيرة جداً، فالأمر هنا العدل للجميع حتى غير المسلمين، ولم يحدد الله تعالى فئة معينة لتمرار العدل معها، وربط العدل بالتقوى، وهذه الصفة خاصة بالمسلمين، لأن هناك من يعدل وهو غير مسلم لكن التقوى تخص القلوب المسلمة، فصاحب التقوى الصادقة المجردة من النفاق والكذب هو الذي يعدل ويحسن في العدل، أما حين يغشى قلبه الران ويبعد عن منهج الله فإنه سيكون ظالماً، مستبداً، طاغيةً، عنصرياً، قلبه قاس فكل ما يحكم به ويعامل به يجافي الحق، لأنه بعيد

(29) الترمذي، سنن الترمذي (6/ 208).

(30) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة النساء، رقم {5654} (7/ 117)

(31) انظر: مريم عيتاني، معاناة اللاجئ الفلسطيني، ص: 22.

عن نور الله ورضوانه ومنهجه . قال الزحيلي عن بيانه لقوله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ : " ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في معاملتكم مع كل أحد، صديقا كان أو عدوا. وعدلكم أقرب للتقوى من تركه، أي العدل في معاملة الأعداء أقرب إلى اتقاء المعاصي على الوجه العام⁽³²⁾ .

هذا مع الأعداء الكفار فكيف إن كانوا مسلمين وإخوة لنا وضعفاء مخرجين من أرضهم لا يملكون شيئا فالأولى أن أعدل في معاملتهم وأحسب إليهم قال تعالى ﴿ .. وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: 195) وينبغي أن يعطوا حقوقهم ويوفروا الحماية والأمن لهم.

ثالثاً: موالاة الله ورسوله والمؤمنين وعدم موالاة المنافقين

يأمرنا الله تعالى بموالاة المؤمنين ونصرتهم وتأييدهم وينهاها عن موالاة الأعداء وصدقاتهم ومحبتهم لأنهم يبغضون المسلمين ويحاربونهم ويتفقون على بغضكم ومعاداتكم⁽³³⁾ . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: 51)

للأسف نلاحظ أن بعض الدول المضيفة للمهاجرين الفلسطينيين تعاملهم معاملة عنصرية سيئة نخجل من وصفها، وكل ذلك لأجل إرضاء اليهود والأمريكان وكان عليهم أن يستقبلوا المهاجرين وينصروهم ويحسنوا معاملتهم، لأننا أمة مسلمة، ونحن خير أمة أخرجت للناس قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ {آل عمران: 110}.

رابعاً: معاونة المُخْرَجِينَ في قتال من أخرجهم

قال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُم وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلَكُم فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُم فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 191).

قال الطبري: "واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم، وذلك هو معنى قوله: "حيث تقتلتموهم ... واقتلوهم حيث تقتلتموهم"، اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم، وأبصرتم مقاتلهم"⁽³⁴⁾ .

وقال أبو السعود عند بيانه لقوله تعالى "واقتلوهم حيث تقتلتموهم" أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم ... { وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُم } أي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها {والفتنة أشد من القتل} أي المحنة التي يُفتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها"⁽³⁵⁾ .

وفي الآية الكريمة تصريح واضح بأمر الله سبحانه بقتال من أخرج أحداً من أرضه وأن يجب علينا أن نقاتله ونحاربه، لأنه اعتدى على أملاك ليست من حقه وأخذ أموالاً وبيوتاً وأراضاً ليست له.

وبالطبع حين يخرج قوم من أرضهم فإنهم يخرجون فقراء مجردين من كل شيء ومن واجب الدولة المستضيفة أن تعينهم وتمدهم بالسلاح لقتال الذين أخرجهم .

ولو أسقطنا هذا الأمر على واقع أهلنا في فلسطين لوجدنا أنه من الواجب على العرب بالإضافة إلى حسن استقبال إخوانهم المخرجين المبعدين أن يعينوهم ويمدوهم بالسلاح ويحموا ديارهم ومقدساتهم ، فإنه إن لم يقف العرب والمسلمون مع إخوانهم في فلسطين لإعادة واسترداد المسجد الأقصى فمن يعيده؟ ومن يمد المقاومين لقتال اليهود المعتدين المغتصبين؟ والله تعالى يقول: ﴿يَا

(32) الزحيلي، التفسير المنير (6/ 118).

(33) المرجع السابق (6/ 225).

(34) الطبري، جامع البيان. (3/ 564).

(35) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (1/ 204).

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ (الأُنْفَالُ: 27) فلسطين أمانة في عنق كل من له ضمير حي، والمسجد الأقصى أمانة في ذمة كل مسلم وعدم الحفاظ عليه، وعدم محاولة استرداده بشتى الطرق خيانة لله وللرسول، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج:38) فالله ﷻ وضح أنه يدافع عن الذين آمنوا ويدخل فيه الذين يدافعون عن إخوانهم ولا يحب الخائنين بشتى أنواع الخيانة وطرقها .

ويدخل في ذلك أيضاً أنه يجب على المسلمين والعرب أن يجهزوا جيشاً لقتال اليهود استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأُنْفَالُ: 60).

فعلى العرب والمسلمين أن يعينوا إخوانهم الفلسطينيين ويستعدوا لإعداد جيش لتحرير فلسطين والقدس. حيث يأمرنا الله في هذه الآية أن نعد ما استطعنا من قوة من جيش وسلاح وهذا تكليف من الله تعالى لعباده المؤمنين الذين يجاهدون لإعلاء كلمته بضرورة أن يعدوا دائماً قدر إمكانهم ما استطاعوا من قوة . يقول الشعراوي: "إياك أن تقول: إنَّ هذه الاستطاعة لن توصلني إلى مواجهة ما يملكه خصمي من معدات يمكن أن يهاجمني بها ، فخصمك ليس له مدد من السماء إنما أنت لك المدد السماوي ، وما دام لك هذا المدد فقوتك بمدد الله تجعلك الأقوى مهما كان عدوك .. وإياكم أن تخافوا من كثرة عدد عدوكم ، والمطلوب منكم أن تعدوا له ما استطعتم من قوة وحتى أطمئنكم أنني معكم ، تذكروا آية واحدة أنزلتها، وهي: { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } [آل عمران : 151] وساعة يلقي الله عز وجل في قلوب الذين كفروا الرعب سيلقون سلاحهم ويفرون من ميدان القتال ولو كانوا يحاربون بأقوى الأسلحة ، وسيتمكن المؤمنون منهم وينتصرون عليهم بأية قوة أعدوها" (36) .

المطلب الثاني: واجب المهاجرين تجاه أنفسهم

أولاً: احتساب الأجر عند الله تعالى

تعددت الآيات وكثرت في هذا الباب وكلها تبشر بالخير وتواسي وتوازر وتعين على الاحتساب إن تم استيعاب الآيات بالشكل المطلوب، وتشد من عضد من احتساب الأجر واحتساب كل دقيقة ولحظة خرج فيها وطُرد من داره بدون وجه حق .

وفي هذا المطلب سنفرد الآيات التي تتحدث عن الجزاء والأجر للمُبعدين المطردين منها:

1) يقول ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: 41).

2) يقول ﷻ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : 218).

3) يقول ﷻ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران: 195).

4) يقول ﷻ ﴿ لَنُبَلِّغَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلِنَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَبُوا

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران : 186)

5) يقول ﷻ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (إبراهيم:13).

(36) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ص: 3317).

6)) يقول ﷺ ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص:85).

وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف المكروب، ليمضي ﷺ في طريقه آمناً واثقاً، مطمئناً إلى وعد الله الذي يعلم صدقه، ولا يستريب لحظة فيه ولقد رد موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هارباً مطارداً. رد الله موسى ﷺ فأنقذ به المستضعفين من قومه، وأهلك به فرعون وجنده وكانت العاقبة للمهتدين.. فامض يا محمد في طريقك، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك لله الذي فرض عليك القرآن قل: ربي أعلم من جاء بالهدى، ومن هو في ضلال مبين ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص:85).

يقول سيد قطب عند بيانه لهذه الآية: "يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ ومن خلفه القلة المسلمة التي كانت يومها بمكة. يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وهو مخرج من بلده، مطارداً من قومه، وهو في طريقه إلى المدينة لم يبلغها بعد، فقد كان بالجحفة قريباً من مكة، قريباً من الخطر، يتعلق قلبه وبصره ببلده الذي يحبه، والذي يعز عليه فراقه، لولا أن دعوته أعز عليه من بلده وموطن صباه، ومهد ذكرياته، ومقر أهله. يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وهو في موقفه ذلك: « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ ».. فما هو بتاركك للمشركين، وقد فرض عليك القرآن وكلفك الدعوة. ما هو بتاركك للمشركين يخرجونك من بلدك الحبيب إليك، ويستبدون بك وبدعوتك، ويفتنون المؤمنين من حولك. إنما فرض عليك القرآن لينصرك به في الموعد الذي قدره، وفي الوقت الذي فرضه وإنك اليوم لمخرج منه مطارداً، ولكنك غدا منصور إليه عائد" (37).

وهذا وعد من الله صريح ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:122) بأنه سينصر المظلومين وسيعيدهم من حيث خرجوا حتى إن لم يعودوا هم فسيعود أبناءهم وأحفادهم أبناء أحفادهم في النهاية، فالظلم لا يدوم وميزان الله لا يستقيم فيه أن يرتع الظالمون ويمرحوا، فلا بد أن يأتي يوم فيه يهلكون ويرحلون كما رحل الذين من قبلهم وهذه سنة كونية لا بديل عنها، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (139) ولو أسقطنا نفس الموقف لوجدنا الكثير من إخواننا الذين أخرجوا من أرضهم وديارهم ظلماً وقهراً وقسراً ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (الحج:40) ولكن الله قد وعد كل من أخرج من داره بالنصر التمكين والعزة والعودة إلى الديار إن شاء الله تعالى.

ثانياً: عدم التنازل عن حق العودة (حُسن التربية)

لا شك أن دور الوالدين في التربية له الأثر الكبير وخاصة في السنوات الأولى للطفل وتعتبر مرحلة الطفولة في سن ما قبل المدرسة من أهم المراحل العمرية في حياة الإنسان، وتبرز أهمية السنوات الست الأولى من حياة الطفل في تكوين شخصيته، فالمعالم الرئيسية لشخصية الفرد تتأثر وتتشكل بدرجة عالية بنوع الرعاية والتربية التي يتلقاها الأطفال في بواكير طفولتهم.

روى البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال ﷺ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ" ثم قال أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ قَالَ تَعَالَى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: 30] (38)

فمن واجبات الأم والأب الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم وذاقوا ألم الحرمان والبعد عن الديار أن يربوا أولادهم على

ما يأتي:

1) أن يربوا أبناءهم على حُب الديار والوطن والأهل، وأن هناك حقاً مسلوباً لا بد من إعادته مهما ابتعدوا عن وطنهم ولو توطنوا أو تجنسوا لا بد أن لا ينسوا أرضهم ووطنهم وأن لا يتنازلوا عن حق العودة، ويعلمون أولادهم وبناتهم وأحفادهم أن هناك وطناً أخذ

(37) سيد قطب، في ظلال القرآن (7/ 403).

(38) البخاري، صحيح البخاري، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ رقم 1359 (2/ 95).

بالقوة ولا يستعاد إلا بالقوة، ولا يجوزُ أن ننساه، وعلى الأبناء أن يُعلِّموا أبنائهم وأبناء أبنائهم حب الوطن وهكذا إلى أن يعود الحق لأصحابه وترد الديار. وحين يكبر الطفل ودمه وعروقه تنبض بحب وطنه، وكل خلية فيه تتأدي بالعودة حتماً فإنَّ التربية لن تضییع هباءً منثوراً وستكون مجدية وسنقطف الثمار وقت الحصاد وسيأتي وقت الحصاد لا محالة، وسنلحظ ذلك في التفكير بمشاريع من أجل العودة إلى الديار واسترداد الحق بأشكال مختلفة وطرق متعددة كلها تعود بالنفع بإذن الله إن أُخْلِصت النية وتجردت من كل شيء إلا من الله.

(2) ونصح الآباء بأن عليهم أن يقوموا بإحياء التراث بحيث لا يُنسى مع مرور الزمن كإحياء المناسبات بالهوية الوطنية، بحيث يكون الحديث عن الوطن والمدن، وضع الآثار في البيت التي تُذكر بالوطن ليكون قريباً دوماً، والتحدث بلهجته وإن كان يصعب على بعضهم بسبب البيئة والمحيط الذي عاشوا فيه ولكن لا ضير وإن كان بعض من الكلمات فقط لتذكر الهوية .

(3) ويجب على الآباء أن يتحدثوا كثيراً مع أبنائهم عن وطنهم ويعتبروه من الأولويات في الحياة ويبطلوا قاعدة أول رئيس للوزراء في الكيان الصهيوني ديفد بن غوريون التي قال فيها { الكبار يموتون والصغار ينسون }⁽³⁹⁾ وبإذن الله سيلوح النصر قريباً، وسيزول قريباً الكيان الصهيوني إن شاء الله.

(4) ومن أهم أدوار المهجر إعداد العُدَّة لإرهاب العدو وإشعاره بعدم استقراره وذلك بتمسكه بحقه بالعودة، وبالتالي حرام شرعاً أن تمنح الاطمئنان للعدو. والذي يمنعه الاطمئنان هو تمسك اللاجئ الفلسطيني بحقه بالعودة الذي يزعزع استقرار وأمن العدو الصهيوني، من هذا نصل للنتيجة المتوخاة بأن حق العودة واجب شرعي ووطني .

كل ما فيه قوة لأهل الحرب لا يجوز بيعهم إياه قال الإمام مالك حتى الإبرة.. فما بالك إذا كان بيعاً للأرض والمقدسات ماذا يكون حكمه؟ إنه حرامٌ وحرام مطلق⁽⁴⁰⁾.

وحبذا لو كانت هذه التربية ليست مقصورةً على الآباء والأمهات الذين أخرجوا بل أيضاً على كل أم وأب مسلم يعيش على وجه الأرض، عليه أن يربي أولاده على حُب الأرض المباركة أرض فلسطين أرض الإسراء والمعراج أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأن هناك أرضاً مسلمةً عربية مسلوبةً بغير وجه حق طُرد منها إخوانهم وأهلهم ظلماً وقهراً، وتربع الكيان الصهيوني وسرق الأرض والوطن والدار .

وهذا يتطلب أن يعمل المسلمون على السير في استراتيجية واضحة لأبناء الشعب الفلسطيني المهجر، وغيرهم من أبناء الأمة العربية والإسلامية، لاسترداد الحقوق المسلوقة، وأراضيهم وخيراتهم المنهوبة، وإرجاع الأمور إلى نصابها .

⁽³⁹⁾ رشيد حسن مقال بعنوان { الكبار يموتون والصغار ينسون } من موقع المركز الفلسطيني للإعلام.

⁽⁴⁰⁾ انظر: نواف التكروري، التأصيل الشرعي لحق الع ودة الفلسطيني - تجمع العودة الفلسطيني واجب (ص: 20).

أهم النتائج والتوصيات

أولاً: أهم النتائج:

- 1) العقائد والمبادئ السامية لا تنتصر ولا تأتي على طبق من ذهب ولكنها تحتاج إلى توضيحات جسام.
- 2) الإخراج من الديار هو سُنَّةٌ من سنن الله الثابتة في حق الأنبياء وأتباعهم تمحيصاً وتشبيهاً لإيمانهم.
- 3) إخراج الأنبياء والمرسلين وأتباعهم هو نتيجة طبيعية بسبب الصراع بين الحق والباطل.
- 4) لم يكن النبي محمد ﷺ بدعاً عن إخوانه الأنبياء في سنة الإخراج.
- 5) واجه أصحاب النبي ﷺ عقوبة الإخراج سيراً على سنة الله في نبيهم وإخوانه الأنبياء وكل من سار في درب الإيمان والتوحيد لله رب العالمين.
- 6) الإخراج من الديار ابتلاء عظيم لرجال عظام آمنوا بحق الإيمان.
- 7) حسن التربية وعدم التنازل عن حق العودة للديار واجب شرعي ووطني .
- 8) عدم موالة الكفار والمنافقين ومن لف لفهم.

ثانياً: التوصيات:

1. تربية أبناء الشعب الفلسطيني على التقوى والإيمان والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله.
2. العمل على تربية الجيل الصاعد من أبناء الشعب الفلسطيني تربية جهادية استعداداً للنصر القادم إن شاء الله .
3. توحيد الجهود بين أبناء الشعب الفلسطيني خاصة، وبينهم وبين أبناء الأمة العربية والإسلامية عامة لاسترداد الحقوق والأوطان المغتصبة.

المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل الشيباني، (1421هـ-2001م)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، (1407هـ-1987م)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه .جامعة دمشق، ط3، بيروت: دار ابن كثير.
- الترمذي، محمد بن عيسى، (1998م)، سنن الترمذي ، تحقيق: بشار عواد معروف. (د. د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (د. ت)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. د. ط). بيروت: دار الفكر.
- ابن جزي، محمد بن أحمد جزي الكلبي الغرناطي المالكي، (1416هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل. تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. (د. د. ط). بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (1405هـ-1985م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- رشيد حسن، (2019/4/25م)، الكبار يموتون والصغار ينسون، تاريخ الاطلاع (2019/6/18م)، موقع المركز الفلسطيني للإعلام: <https://www.palinfo.com/254576>
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، (1422هـ)، التفسير الوسيط للزحيلي، ط1، دمشق: دار الفكر.
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.

- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، (د. ت)، تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حوى، سعيد (2005م)، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، ط1، عمان: دار الرازي.
- السمين الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، (د. ت)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- سيد قطب، (د. ت)، في ظلال القرآن. تحقيق: علي بن نايف الشحود. (د. ط)، (د. م)، (د. ن).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (د. ت)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
- الشعراوي، محمد متولي، (1997م). تفسير الشعراوي. (د. ط). مصر: مطابع أخبار اليوم.
- الطبري، محمد بن جرير، (1420هـ-2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، (د. ت)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (د. ط). مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- حمتمو، عماد يعقوب؛ واللوح، عبد السلام حمدان (2007م)، آثار الإخراج من الديار بين الإيجاب والسلب، (بحث منشور)، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مجلد 15، عدد 2.
- ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (1407هـ-1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (1426هـ-2005م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (1420هـ-1999م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع
- مريم عيتاني، (2010م). معاناة اللاجئين الفلسطينيين، (د. ط)، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ت)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (1414هـ). لسان العرب، ط3. بيروت: دار صادر.
- ابن ماجه القزويني (د.ت)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، (د. ط)، مصر: دار إحياء الكتب العربية.